خطبة: مفاتيح العلاقات الاجتماعية الناجحة

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

تآلفُ المسلمين ورسوخُ أواصرِ المحبّة والمودّةِ بينهم من مقاصدِ الاسلام النبيلة ومن غاياته السامية ، لذلك جاءت النصوصُ الشرعيةُ تحثُّ عليها ، وترغّبَّ بأسبابها وتحذّر أشدَّ التحذير مما يمسّها بالسوء والتفريق ، ويتسبّبُ بدلا عنها في زرع الضغائنِ والأحقاد

، فالالفةُ بين المؤمنين نعمةٌ جليلة من نعم الله تعالى ، وهبةٌ عظيمةٌ من هباته ، قال تعالى " ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 63]،

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أمتَّه حديثَ المفلس ، مبيّنا المرتبةَ العاليةَ لصيانة حرمة المسلم على النوافل الفردية لسائر العبادات فقال صلى الله عليه وسلم "

(أتدرون من المفلس ؟ ) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي من يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ). رواه مسلم في صحيحه

وقال صلى الله عليه وسلَّم محذّرا مما يُفسدُ الودّ بين المسلمين -: ((دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم؛ الحسد، والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده، لا تَدْخلوا الجَنَّة حتى تُؤْمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحَابُّوا، أفلا أُنبِّئكم بما يُثبت ذلك لكم؟ أَفْشوا السَّلام بينكم))؛ الألباني في "صحيح الترمذي

وقال صلى الله عليه وسلَّم مرغبًّا في المحبّةِ والتوادِّ والتعاطفِ بين المؤمنين -: ((مَثَل المؤْمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطُفهم مَثَل الجسَد؛ إذا اشْتكى منْه شيءٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى))؛ "مسند أحمد بن حنبل"

معاشر المؤمنين

اليكم عباد الله ثلاثة مفاتيح للعلاقات الإجتماعية الناجحة ، التي هي أسرارُ تحقّقِ المودّة ، وأهمُ أسبابِ دوامها ، هي ثلاثٌ في العدد لكنّها عظيمةٌ في الأثر

وأول تلك المفاتيح هو " تركُ المرءِ ما لايعنيه " تركُ الفضولِ والتجسّسِ الذي هو سببٌ رئيس من أسبابِ تغيّرِ القلوب وولوجِ الشيطان اليها ، وفتحِ أبوابِ الشك وسوء الظن والغيبة ، ومن سلَم من الفضول عاش سليم الصدر ، مرتاحَ البال ، طيبَ المشاعر تجاه المسلمين ، وحاجتنا اليوم لهذا الأمر ملحّةٌ في ظلِ الأجواء المفتوحة للتواصل الاجتماعي ، وكثرةِ الأخبارِ المتداولة بين الناس ،

وقد حذّر ربّنا جلّ وعلا من الفضول والمبادرة بالسؤال لما سكت الشارع عن بيان حكمه، فقال سبحانه وتعالى "

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101المائدة)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من حسنِ إسلام المرء: تركُه ما لا يعنيه)) (حديث حسن؛ رواه الترمذي وغيره. )

والفضول آفةٌ تدفع للتجسس ولفضول السمع ولفضول النظر

ومن أخذ بفضول النظر والاستماع ، عباد الله ، أبتلىُ بفضول اللسان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِيَّاكُمْ وَالظَّنّ فَإِنَّ الظَّنّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا "  رَوَاهُ الْبُخَارِيّ (6064) ، وَمُسْلِم (2563) .

أما ثاني تلك المفاتيحِ المباركةِ عباد الله فهو "إحسانُ الظنِّ بالآخرين "، فما أفسد العلاقاتِ بين الأرحامِ والجيران ، وزملاءِ العمل وروادِّ المساحد إلا سوءُ الظن والتسرّعِ في الحكم على الناس ، وكما أوصانا ربنا جل وعلا : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا " [ الحجرات : 12 ] .

وقال القرطبي : وَمَعْنَى الْآيَة : خُذُوا مَا ظَهَرَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَات الْمُسْلِمِينَ , أَيْ لَا يَبْحَث أَحَدكُمْ عَنْ عَيْب أَخِيهِ حَتَّى يَطَّلِع عَلَيْهِ بَعْد أَنْ سَتَرَهُ اللَّه .ا.هـ ، وأن يرى المرءُ أخاه المسلمَ في حالٍ او يسمع منه مقال فلا يظن به خيرا ولايحتسب له عذرا او يتأوّله بتأويلٍ حسن،

وكما حذرّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إيَّاكم والظنَّ؛ فإن الظن أكذب الحديث...))؛ متفق عليه.

قال ابن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرا فقل لعل له عذرا.

ألفّ الله على الخير قلوبنا ، وأصلحَ ذات بيننا وهدانا سبل السلام ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

أما المفتاح الثالث ، فلو أخذ به الناسُ لما ساءت علاقةُ أحدٍ مع أحد ، أرشدنا اليه صلى الله عليه وسلم وهو " عامل الناسَ كما تُحب ان يعاملوك "،

هذا المبدأ السلوكي الهام حثّنا عليه صلى الله عليه وسلم " عن عبدالله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فمَن أحَبّ أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة، فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه))؛ رواه مسلم ،

وهذا المبدأ هو مقتضى العدل والحكمة ، فالمرء الحكيم العادل لايرتضي أن يعاملَ غيرَه بما لايرتضي هو أن يُعامل به ،

لو طبق الناسُ هذه القاعدةَ النبّوية لما ظلمَ أحدٌ أحدا ، ولاحقَد أحدٌ على أحد ، ولا إغتاب أحدٌ أحدا ، ولا إعتدى أحدٌ على أحد .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه))؛ رواه البخاري ومسلم.